على الدرب .. مع الطيّب صالح

ملامح من سيرة ذاتيّة

Extrait d'un livre publié au Caire et à Rabat où l'auteur, Talha Jibrîl, fait raconter sa vie au célèbre écrivain soudanais (cf. notice page suivante). Premier passge ou Tayyeb Saleh nous raconte ses études au collège à Port-Soudan...

بعد أن أكملت المرحلة الأوّليّة في قريتي [1] ، انتقلت لدراسة المرحلة الوسطى (الإعداديّة) في بورتسودان [2] ، إذ لم تكن توجد في منطقة شمال السودان إلاّ مدرسة واحدة في بربر ، لذلك اضطررت للانتقال إلى بورتسودان لعدم وجود مدرسة وسطى في منطقتنا . كان دخول المدرسة الوسطى في ذلك الزمان يُعتبر حدثًا كبيرًا ، إذ أنّ المنافسة شديدة للحصول على مقعد في إحدى المدارس الوسطى . وبعد دخولنا للمدرسة الوسطى ، بدأنا في تعلّم اللغة الإنجليزيّة ، وهذه مسألة كانت تبدو لنا ولأهلنا مهمّة جدّاً ، الذين يعتبرون أنّ الانتقال للمدرسة الوسطى يعدّ بمثابة قفزة كبيرة ، فالطالب يكون عمليًّا قد دخل عالم الافنديّة [3] (الموظّفين) .

حين بدأت تعلّم اللغة الإنجليزيّة ، اكتشفت حبّي لهذه اللغة ، رغم أنّ الإنجليزيّة كانت لغة المستعمرين ، لكن في تلك الفترة لم يكن لدينا وعي وإدراك لمسألة الاستعمار ، والإنجليز [4] في السودان كان عددهم قليلاً وليس لهم احتكاك مع الأهالي ، وجميع الإداريّين من الإنجليز في كلّ السودان لم يتعدّ 500 موظّف ، وكانوا يشغلون الوظائف العليا في الإدارة مثل مدير المديريّة أو مفتّش المركز .

وأتذكّر ونحن في المدرسة الوسطى أن زارنا مدير المديريّة وكان مركز المديريّة في كسلا [5] ، وأبلغنا أنّ الـ GOVERNER (أي الحاكم) سيزور المدرسة ، ووقع عليّ الاختيار لأرحّب به لأنّني كنت أفضل زملائي إجادة للغة الإنجليزيّة ، وبالفعل وقفت أمامه لأردّد عبارة LONG LIVE THE GOVERNER (أي عاش الحاكم) والواقع أنّني لم أدرك آنذاك ماذا يعني « حاكم أجنبيّ » أو « الاستعمار » إلاّ بعد أن انتقلت إلى المرحلة الثانويّة .

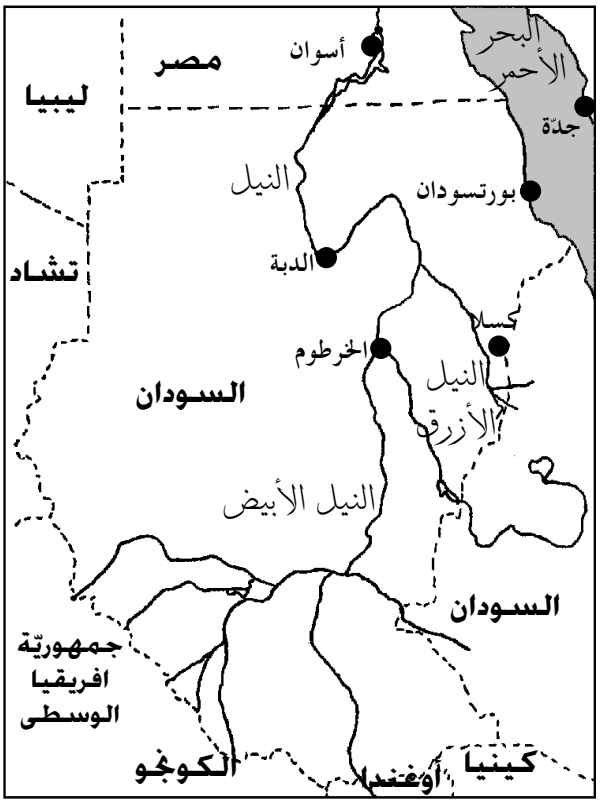

وقد تعلّمنا اللغة الإنجليزيّة على مدرّسين سودانيّين ممتازين . وحين بدأت تعلّمها راودني شعور بأنّني أدخل إلى عالم جديد حافل برموز جديدة تحتاج إلى تفكيك . وزاد حبّي للغة الإنجليزيّة بعد أن انتقلت إلى الثانويّة (...)

(suite page suivante)

---

(1) = الدبة . Cf. carte ci-dessus.
(2) = *Port Soudan* (cf. carte).
(3) = *le monde des gens importants (des gentlemen).* Le terme أفندي était utilisé en Egypte et au Soudan pour parler des non-européens portant costume et tarbouche.
(4) = *les Anglais.*
(5) Cf. carte.

Tayyeb SALEH :
Écrivain soudanais né en 1929. Issu d'un milieu de lettrés, il poursuit des études universitaires à Khartoum et à Londres, où il dirige le département arabe de la BBC, avant de s'établir au Qatar puis à Paris comme conseiller à l'UNESCO. Parmi ses romans traduits, signalons notamment "La saison de migration vers le nord" (Ed. Sindbad).

لكنّ أبناء منطقتنا في الفصل كانوا يتميّزون بذكاء شديد ، لذا انتقل عدد كبير منهم للمرحلة الثانويّة . ومن تلك الفترة ، أتذكّر زميلي الذي سيحصل على شهادة الدكتوراه من بعد ، وهو الدكتور محمود أحمد محمود ، وكان من نوابغ جيلنا . ورغم أنّه درس الزراعة لكن أعتقد أنّه لو كان اتّجه أيّ اتّجاه لتفوّق فيه . وأتذكّر أنّ محمود أحمد كان يحدّثنا في تلك الفترة عن السينما وأسماء الأفلام والممثّلين ، وأشياء بدت لنا من عجائب الدنيا .

ولم أعرف شخصيّـًا السينما إلاّ في عام 1946 حين انتقلت إلى المرحلة الثانويّة : عندئذ ، دخلت السينما لأوّل مرّة في حياتي لأشاهد فيلمًا مصريّـًا مثّلت فيه بدرية رأفت ، أظنّ اسمه « ليلى بنت الصحراء » . كان ذلك حدثًا كبيرًا في حياتي ، لأنّ أهلنا كانوا يمنعونا من دخول السينما بحجّة أنّها تفسد أخلاق النشء . (...)

على الدرب .. مع الطيّب صالح
لطلحة جبريل
توب للاستثمار والخدمات (الرباط)
مركز الدراسات السودانيّة (القاهرة) – 1997
ص 40–42

Texte publié dans TextArab n° 47
avec le lexique
et des commentaires grammaticaux